التقديـــم

يُعَدُّ هذا المُصَنَّفُ مُتَفَرِّداً من حَيْثُ كونُه يدورُ في فلكِ تَبْيين فضائل اللغة العربيَّة، ووجوبُ اتِّخاذها لغةَ التخاطُب والتفاهُم والتأليف وغيرها، على أنْ تُراعَى فيها سُنَنُها في تراكيبها المختلفة نحواً وصرفاً وغيرهما؛ لأنَّها اللغةُ التي شرَّفها اللهُ تعالى بأنْ تكون لغةَ كتابِه الـمُبين، وهي لغةُ أهلِ الجنَّة، وهي مما يُحَبُّ العربُ لها، كما في قول الرسول عليه السلام: «أَحِبُّوا العَرَبَ لثلاثٍ: لأنِّي عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، وكلامُ أهلِ الجنة عربيٌّ»[1].

ويدُورُ في فلك فضائلِ علم النحو الذي تُصانُ به العربيَّة من أنْ يشيعَ فيها اللحْنُ، ويَتَسَرَّبَ إليها ما يُشَوِّهُ جمالَها ويُبعِدُها عن سُنَنِها وطرائِقِها في التعبير، من تيَّار بعضِ اللغات الأعجميَّة الجارِف، إذْ يَرْفعُ هذا العلمُ من قدر الخسيس الذليل، ويزيدُ من قَدْر الشريف، ويَحُطُّ من قَدْرِ مَنْ لا يَطْلُبُه، ويحقِّقُ أمْنَ اللَبس في تراكيبنا اللغويَّة المختلفة. وتَبْدو هذه المسألةُ بيِّنةً مُشْرِقةً في تلك الأقوال والأشعار المختلفة التي يحرِص الشنتمريُّ على حَشْدها في مؤَلَّفه هذا، وهي أقوالٌ وأشعارٌ تدورُ في فلك التحدُّث بلغةٍ عربيَّةٍ فصيحة بيِّنة الدلالة للنحو أثرٌ رئيسٌ في إجادَة التخاطب والتفاهم والكتابة والتأليف بها. ويُعَزِّزُ هذه المسألةَ بحَشْد أقوالٍ يبدو فيها اللحْنُ قبيحاً مُسْتَهْجَناً لا يصحُّ أنْ يُصارَ إليه في قراءة القرآن، أو الكلام العربيِّ نظمه ونثره.

ولعلَّ في تحقيق هذا المُصَنَّف ونَشْرِه سدّاً لثغرَةٍ في مكتبتِنا النحويَّة لمَّا تُسَدَّ، إذْ يمكن أنْ يَفْرِضَ سُلْطانَهُ في حثِّ أهلِ العربيَّة الفصيحة على اتِّخاذها لغةَ الشارع والبيت والجامعةِ وغيرها. وكأنِّي بالشنتريني مؤلِّفه راعَهُ ما شاب العربيَّة لغةَ القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف من شوائبَ قد تجعلها بعيدةً

---

(١) انظر الصفحة : ٣٧ .

عنَّا، وتجعلنا بعيدين عنها، وهي مسألةٌ تجعل قرآنَنا غريباً وتجْعَلُنا غريبين. وكأنّي به يدعو إلى هجر الازدواجيّة، واللحنِ الذي يشيع في كتاباتِنا وكلامنا ووسائل إعلامنا المختلفة، ويتصدَّى لوأْدِ دعَواتِ بعضِ الحاقدين من أبناء العربيّة وغيرهم إلى نَبْذِ الفصيحة، واستِبْدال العاميَّة بها أو الاكتفاء بتسكين أواخر الكلم، لوضوح المعنى في التراكيب اللغويَّة وجَلائه، وبناءِ سدٍّ منيع يتمكَّن من إيقاف تيَّار الألفاظ الأعجميَّة الجارف. ولَسْتُ أتناسى ما أصاب العربيَّة في بلاد الأندلس من كوارثَ في زمن المؤلِّف (تُوفِّيَ ٥٥٠هـ)، قد تَصل في آثارها في لغتنا إلى تلك الآثار التي فَرَضَتْها علينا تلك العوادي الثرَّة في عصرنا، التي تكبِّل كثيراً منَّا بأغلالِها.

وعليه فإنني أتَطلَّعُ مِنْ تحقيق هذا المؤلَّف النفيس أنْ يتَّخذه الحريصون على العربيَّة تُكَأَةً في الدعوة إلى هجر العاميَّة، والالتزام بالعربيَّة الفصيحة، وهو -كما يظهر لي- لسانُ حالِ كلِّ غيورٍ على لغته، وأُمّته، وقرآنِه، وحديث رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقَبَسُهُ الذي يُضيءُ دَرْبَه في إشاعة هذه اللغة في البيتِ، وإكْسابها أبناءَه، ليكونوا أُسْوَةً حسنةً لغيرهم في هذه المسألة، في حيِّهم أو قريتهم.

واللهَ أسألُ أنْ يُوَفِّقنا جميعاً في خِدْمة لغتنا والحِفاظ عليها وإبقائها حيَّةً متطوِّرةً، مرغوباً فيها، تفرِضُ سلطانها على أبناء الأمّة العربيّة بما فيها من مواطِنِ الجمال المختلفة، في ألفاظها ودلالاتها، وتراكيبها، وأصواتِها بما فيها من انْسجامٍ في الألفاظ والتراكيب، وغيرها. وما لنا نتناسى أنَّ اللغةَ تَقْوى بقُوَّة الناطقين بها، وتبوُّئِهم مكانةً مرموقة بين غيرهم من الأمم في العلوم وغيرها؟